

هل يمكن أن تتصالح السنة والشيعة؟



مجدي محمد علي

باحث شرعي

هل يمكن أن تُحل تلك المعادلة المستعصية ويلتقي السنة والشيعة على أصول الإسلام وعلى محكمات القرآن ونغلق باب المزايدات أمام أعداء الاسلام الذين يلعبون على وتر الخلافات بين السنة والشيعة وتأجيج العداوة بينهما. الجميع يعلم أن الأمة الإسلامية تمر اليوم بمرحلة عصيبة من أحلك مراحل تاريخها الطويل حيث أفشلها النزاع والشقاق وذهبت بذلك قوتها وشوكتها مصداقا لقول الله تعالى: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رَیْحُكُمْ" وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ".

لقد تكالبت علينا الأمم مع اتساع الفارق الكبير بيننا وبينهم في القوى المادية والعدة والعتاد ولكن هذا التكالب لا يمثل لنا أي مشكلة فإن الله تعالى تكفل بحفظ الإسلام وأمة الإسلام إلى قيام الساعة قال تعالى: "يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِسْلَافًا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُهُ الْعَالَمِينَ كُلَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" وقال صلى

اﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ: "ﻟﻴﺒﻠﻐﻦ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺄﻣﺮ ﻣﺎ ﺑﻠﻎ ﺍﻟﻠﻴﻞ ﻭﺍﻟﻨﻬﺎﺭ ﻭﻻ ﻳﺘﺮﻙ ﺍﻟﻰ ﺑﻴﺖ ﻣﺪﺭ ﻭﻻ ﻭﺑﺮ ﺇﻻ ﺃﺩﺧﻠﻪ ﺍﻟﻰ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺪﻳﻦ ﺑﻌﺰ ﻋﺰﻳﺰ ﺃﻭ ﺑﺬﻝ ﺫﻟﻴﻞ ﻋﺰﺍﺀ ﻳﻌﺰ ﺍﻟﻰ ﺑﻪ ﺍﻟﻴﺴﻼﻡ ﻭﺫﻻﺀ ﻳﺬﻝ ﺍﻟﻰ ﺑﻪ ﺍﻟﻜﻔﺮ"، ﻭﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﺭﻭﺍﻩ ﺃﺣﻤﺪ ﻭﺻﺤﻪ ﺍﻟﺄﻟﺒﺎﻧﻲ ﻓﻼ ﺧﻮﻑ ﻋﻠﻰ ﺩﻳﻦ ﺍﻟﻰ ﻭﻻ ﺧﻮﻑ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺄﻣﺔ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﻋﺪﺍﺀ .

ﺇﻧﻤﺎ ﺍﻟﺨﻮﻑ ﻣﻦ ﺍﻟﻔﺮﻗﺔ ﻭﺍﻻﺧﺘﻼﻑ ﻟﻘﻮﻟﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ: "ﻭﺇﻧﻲ ﺳﺄﻟﺖ ﺭﺑﻲ ﻟﺄﻣﺘﻲ ﺃﻥ ﻻ ﻳﻬﻠﻜﻬﺎ ﺑﺴﻨﺔ ﻋﺎﻣﺔ ﻭﺃﻥ ﻻ ﻳﺴﻠﻂ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﻋﺪﻭﺍ ﻣﻦ ﺳﻮﻯ ﺃﻧﻔﺴﻬﻢ ﻓﻴﺴﺘﺒﻴﺢ ﺑﻴﺰﺗﻬﻢ ﻭﺇﻥ ﺭﺑﻲ ﻗﺎﻝ ﻳﺎ ﻣﺤﻤﺪ ﺇﻧﻲ ﺇﺫﺍ ﻗﻀﻴﺖ ﻗﺼﺎﺀ ﻓﺈﻧﻪ ﻻ ﻳﺮﺩ ﻭﺇﻧﻲ ﺃﻋﻄﻴﺘﻜﻞ ﻟﺄﻣﺘﻜﻞ ﺃﻥ ﻻ ﺃﻫﻠﻜﻬﻢ ﺑﺴﻨﺔ ﻋﺎﻣﺔ ﻭﺃﻥ ﻻ

ﺃﺳﻠﻂ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﻋﺪﻭﺍ ﻣﻦ ﺳﻮﻯ ﺃﻧﻔﺴﻬﻢ ﻳﺴﺘﺒﻴﺢ ﺑﻴﺰﺗﻬﻢ ﻭﻟﻮ ﺍﺟﺘﻤﻊ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﻣﻦ ﺑﺄﻗﻄﺎﺭﻫﺎ ﺃﻭ ﻗﺎﻝ ﻣﻦ ﺑﻴﻦ ﺃﻗﻄﺎﺭﻫﺎ ﺣﺘﻰ ﻳﻜﻮﻥ ﺑﻌﻀﻬﻢ ﻳﻬﻠﻚ ﺑﻌﻀﺎ ﻭﻳﺴﻴﻲ ﺑﻌﻀﻬﻢ ﺑﻌﻀﺎ" ﺃﺧﺮﺟﻪ ﻣﺴﻠﻢ.

ﺍﻟﺒﺼﻴﺮﺓ ﺃﺧﺺ ﻣﻦ ﺍﻟﻌﻠﻢ ﻟﺄﻧﻬﺎ ﺗﺸﻤﻞ ﺍﻟﻌﻠﻢ ﻭﺍﻟﻔﻬﻢ ﻭﺍﻟﻮﻋﻲ ﻭﺍﻟﺈﺩﺭﺍﻙ ﻭﺍﻟﻔﻘﻪ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻳﻦ ﻭﺍﻟﺤﺮﻭﺹ ﻋﻠﻰ ﻭﺣﺪﺓ ﺍﻟﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﻭﺇﺫﺍ ﻛﺎﻥ ﻫﻨﺎﻙ ﻏﻠﻮ ﻣﻦ ﻛﺎﻓﺔ ﺍﻟﺄﻃﺮﺍﻑ ﻓﻲ ﺗﻘﻴﻴﻢ ﺍﻟﻤﻮﺍﻗﻒ ﻓﻼﺑﺪ ﻣﻦ ﻋﻼﺟﻪ ﺑﺎﻟﺒﺼﻴﺮﺓ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻳﻦ .

ﺇﺫﻥ ﺍﻟﺨﻠﻞ ﻳﺘﻤﺘﻞ ﻓﻲ ﺍﻟﻔﺮﻗﺔ ﻭﺍﻻﺧﺘﻼﻑ ﻭﺍﻟﻌﺪﺍﻭﺓ ﻭﺍﻟﺒﻐﻀﺎﺀ ﺑﻴﻦ ﺍﻟﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﻟﻘﺪ ﺗﻔﺮﻗﺖ ﺃﻣﺔ ﺍﻟﻴﺴﻼﻡ ﺃﺣﺰﺍﺑﺎ ﻭﺷﻴﻌﺎ ﻳﻘﺘﻞ ﺑﻌﻀﻬﺎ ﺑﻌﻀﺎ ﻭﻳﺴﻴﻲ ﺑﻌﻀﻬﺎ ﺑﻌﻀﺎ ﺑﺴﺒﺐ ﺍﻟﻐﻠﻮ ﻭﺍﻟﺨﻠﻞ ﺍﻟﺬﻯ ﺃﻝ ﺑﺎﻟﻔﺮﻕ ﺇﻟﻰ ﺗﻜﻔﻴﺮ ﺑﻌﻀﻬﺎ ﺑﻌﻀﺎ ﻭﺍﺳﺘﺤﻼﻝ ﺩﻣﺎﺀ ﻭﺣﺮﻣﺎﺕ ﺑﻌﻀﻬﻢ ﺑﻌﻀﺎ ﻣﻊ ﺃﻥ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺃﺯﺍﻝ ﺍﻟﻐﻤﺔ ﻓﻲ ﺑﻴﺎﻥ ﻣﻦ ﻫﻢ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺄﻣﺔ ﻓﻘﺎﻝ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ: "ﻣﻦ ﺻﻠﻰ ﺻﻼﺗﻨﺎ ﻭﺍﺳﺘﻘﺒﻞ ﻗﺒﻠﺘﻨﺎ ﻭﺃﻛﻞ ﺫﺑﻴﺤﺘﻨﺎ ﻓﺬﻟﻚ ﺍﻟﻤﺴﻠﻢ ﺍﻟﺬﻯ ﻟﻪ ﺫﻣﺔ ﺍﻟﻰ ﻭﺭﺳﻮﻟﻪ ﻓﻼ ﺗﺨﻔﺮﻭﺍ ﺍﻟﻰ ﻓﻲ ﺫﻣﺘﻪ"، ﻭﻻ ﻳﺼﺢ ﺗﻔﺮﻳﻎ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻣﻦ ﻣﻌﻨﺎﻩ ﻓﻤﻦ ﺻﻠﻰ ﺻﻼﺗﻨﺎ ﻭﺍﺳﺘﻘﺒﻞ ﻗﺒﻠﺘﻨﺎ ﻭﺃﻛﻞ ﺫﺑﻴﺤﺘﻨﺎ ﻓﺬﻟﻚ ﺍﻟﻤﺴﻠﻢ ﺍﻟﺬﻯ ﻟﻪ ﻣﺎ ﻟﻠﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﻭﻋﻠﻴﻪ ﻣﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﻓﻼ ﻳﺼﺢ ﺃﻥ ﻳﻬﻠﻚ ﺑﻌﻀﻬﺎ ﺑﻌﻀﺎ ﻭﻻ ﺃﻥ ﻳﺴﻴﻲ ﺑﻌﻀﻬﻢ ﺑﻌﻀﺎ ﻭﻗﺪ ﺟﻌﻠﻨﺎ ﺍﻟﻰ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺃﻣﺔ ﻭﺍﺣﺪﺓ ﻣﻦ ﺩﻭﻥ ﺍﻟﺄﻣﻢ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ: "ﺇﻧﻨﻰ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﺄﻣﻤﺔ ﺃﻣﻤﺔ ﻭﺍﺣﺪﺓ ﻭﺃﻧﻨﺎ ﺭﺑﻮﻛﻤﻢ ﻓﺄﻋﺒﺪﻭﻧﻰ ﺃﻣﺔ ﻭﺍﺣﺪﺓ ﺧﺎﻃﺒﻬﺎ ﺍﻟﻰ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺑﻘﻮﻟﻪ ﻳﺎ ﺃﻳﻬﻰ ﺍﻟﻨﺎﺑﻴﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﺍﺗﺘﻘﻮﺍ ﺍﻟﻠﻪ ﺣﻘﻘﻰ ﺗﻘﻘﺎﺗﻬﻰ ﻭﻻ ﺗﻤﻮﺗﻨﻰ ﺇﻟﻼ ﻭﺃﻧﻨﻰ ﻣﺴﻠﻤﻮﻥ ﻭﺃﻋﺘﻤﺪﻭﺍ ﺑﺮﺣﺒﻞ ﺍﻟﻠﻪ ﺟﻤﻴﻌﺎ ﻭﻻ ﺗﻔﺮﻗﻮﺍ".

ﻫﻨﺎﻙ ﺧﻠﻞ ﻓﻲ ﻓﻬﻢ ﺍﻟﺪﻳﻦ ﻭﺍﻟﺒﺼﻴﺮﺓ ﺑﻪ ﻭﻫﻨﺎﻙ ﺧﻠﻞ ﻓﻲ ﻓﻬﻢ ﺇﻃﺎﺭﻩ ﺍﻟﻮﺍﺳﻊ ﻭﻣﻦ ﻫﻢ ﺍﻟﺪﺍﺧﻠﻮﻥ ﻓﻴﻪ ﻟﻘﺪ ﺍﻫﺘﻤﺖ ﺍﻟﻔﺮﻕ ﺍﻟﻴﺴﻼﻣﻴﺔ ﻓﻲ ﺑﻴﺎﻥ ﺣﺪﻭﺩﻫﺎ ﻭﻟﻢ ﺗﻬﺘﻢ ﺑﺒﻴﺎﻥ ﺇﻃﺎﺭ ﺍﻟﻴﺴﻼﻡ ﺍﻟﺬﻯ ﻳﺠﻤﻊ ﺍﻟﺠﻤﻴﻊ ﻫﻨﺎﻙ ﺧﻠﻞ ﻓﻲ ﻓﻬﻢ ﺍﻟﺄﺼﻮﻝ ﺍﻟﺘﻲ ﺑﻬﺎ ﻳﻜﻮﻥ ﺍﻟﻤﺮﺀ ﻣﺴﻠﻤﺎ ﻟﻪ ﻣﺎ ﻟﻠﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﻭﻋﻠﻴﻪ ﻣﺎ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﻫﻨﺎﻙ ﺧﻠﻞ ﻓﻲ ﻓﻬﻢ ﺗﻠﻚ ﺍﻟﺄﺼﻮﻝ ﻭﺗﺠﺮﻳﺪﻫﺎ ﻋﻦ ﻓﺮﻭﻉ ﺍﻟﺠﺘﻬﺎﺩ ﺍﻟﺘﻲ ﺗﻘﺒﻞ ﻣﺴﺎﺣﺔ ﻣﻦ ﺍﻻﺧﺘﻼﻑ ﻭﺍﻟﺘﻔﺼﻴﻞ.

حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّهُ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ" وعرضه، رواه مسلم فلم يقل كل أهل السنة على أهل السنة حرام ولا قال كل الشيعة على الشيعة حرام بل قال كل المسلم على المسلم حرام والجميع من أهل الإسلام فلا يصح أن يستحل بعضنا دماء بعض.

لقد سألتني مرة أحد الأصدقاء سؤالاً أليست الشيعة على الكفر البواح قلت لماذا فقال لانهم يسبون أبا بكر وعمر وهما عمودا الإسلام فقلت له أيهما أشد إثماً سب الصحابي أم قتله فقال بل قتله فقلت له لقد قتل ابن ملجم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولم يكفره الصحابة والتابعون من جيش الإمام علي بل اعتبروه باغياً وقتلوه حدا فهل نكفر نحن الساب والصحابة لم يكفروا القاتل فسكت.

لقد وضح القرآن الكريم أهم مؤهلات العمل لدين الله قال سبحانه: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"، والبصيرة أخص من العلم لأنها تشمل العلم والفهم والوعي والإدراك والفقه في الدين والحرص على وحدة المسلمين وإذا كان هناك غلو من كافة الأطراف في تقييم المواقف فلا بد من علاجه بالبصيرة في الدين.

لقد عاش السنة والشيعة لأكثر من ألف عام في تصالح ووثام وتراحم في اليمن وفي العراق وغيرها من بلاد المسلمين وفي الكويت إلى زمن قريب جداً كانت الأسر السنية والشيعية يصاهر بعضها بعضاً ويزوج بعضها بعضاً وترى العائلة الواحدة فيها السني والشيعي وجميعهم يجلس على مائدة

واحدة تجمعهم أصول الإسلام ومحكمات القرآن فما الذي حدث؟ لابد من تشخيص الأسباب فالتشخيص نصف العلاج ولابد من بيان خطوات العلاج لذا سأتناول هذا الأمر على صورة نقاط منها ما يتناول الأسباب ومنها ما يطرح الحلول وهما هنا لا تصلح المجاملة ولابد من المصارحة حتى نعلم بمقدار الخطر.

النقطة الأولى: هناك غلو شيعي بسبب اتباع المذهب الصفوي الشاذ حتى على الشيعة أنفسهم وهذا المذهب مغرق في تكفير أهل السنة واستحلال دمائهم بدعوى الاقتصاص لدم الحسين سيد شباب أهل الجنة عليه السلام وهل يرضى الحسين رضي الله عنه بذبح المسلمين وانتهاك حرمااتهم على ذنب لم يقترفوه وقد حدث بغتة وفي ظروف غامضة مر عليها مئات السنين ولم يرض بها المسلمون لا آنذاك ولا اليوم والحاصل أن المذهب الصفوي لا يمثل الشيعة المعتدلين.

النقطة الثانية: في المقابل غلو سني بسبب اتباع المذهب الوهابي الشاذ حتى على أهل السنة أنفسهم

حيث يطرحون صورة مشوهة عن الإسلام وعقائده وعلومه صورة تمتلئ بالحشو والتجسيم في حق الإله الرب المعبود بسبب الجهل المركب بقواعد التقديس وتمتلئ بالفهم السطحي السقيم لطواهر المتشابهات يحسبون أنهم وحدهم المسلمون وأن من خالفهم من الهالكين صورة تمتلئ للأسف بالغلو في التكفير والتبديع صورة مغايرة لما عليه مذاهب أهل السنة والجماعة المتخصصة في شتى جوانب الدين صورة فيها علو زائد في تكفير المسلمين واتهامهم بالشرك والبدعة والضلالة في مسائل هم فيها أهل الخلل والحاصل أن المذهب الوهابي لا يمثل السنة المعتدلين.

النقطة الثالثة: هناك غلو في مقابل غلو وكلا الفرقين من أهل الغلو يطرح نفسه على أنه الصورة الحقيقية للإسلام وبهذا الغلو يصدق فيهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيهما: "حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا" أخرجه مسلم وعامة أهل الإسلام سواد المسلمين الأعظم براء من الغلو هنا وهناك.

النقطة الرابعة: معادلة الحل الأولى تعتمد على التعقل وتخفيف حدة الصراع وذلك عن طريق تحديد إطار عام صحيح عدل وسط لأهل الإسلام يدخل فيه كل مسلم ينطق بالشهادتين مهما تلبس هذا المسلم بأخطاء وشبهات وعقائد مخالفة ما كان محافظا على أصول الإسلام ومحكمات القرآن.

النقطة الخامسة: تقنين الخلاف بين طوائف الأمة بما يُعالج الغلو ويحارب التطرف ويكشف الخلل ويبين أطر التعامل مع المخالف ما كان هذا المخالف ينتسب إلى الإسلام.

النقطة السادسة: احترام مذاهب التخصص العلمي الرصين تلك المذاهب التي لها عمق التاريخ الإسلامي والتي انتمى إليها على مر عصور الإسلام سواد المسلمين الأعظم تلك المذاهب الخالية من الغلو والتطرف تلك المذاهب التي عاش في كنفها المسلمون بشتى طوائفهم في سلام وأمان ولم نسمع عندما سادوا وقادوا أنهم استحلوا محارم المسلمين أو سفكوا دماء أطفالهم وشيوخهم بل نشروا العلم الراسخ والفقه الواعي في الدين لم يكفروا أحدا من فرق المسلمين ولم يستحلوا دماء أحد منهم إن احترام هذا التخصص هو أحد مخارج الحل.

النقطة السابعة: الوقوف أمام تيارات الغلو هنا وهناك ومنع الأبواق المغالية التي تفتت وحدة المسلمين ولا تخدم إلا الأعداء الأصليين.

واختتم هذا المقال بالتأكيد على أنه لن ينجي هذه الأمة من المحنة التي تمر بها حاليا سوى التصالح

والولاء العام للإسلام نفسه لا الطوائف المنتسبة.